الطباق وجمال الصورة الشعرية قصيدة (سفر التكوين) نموذجا للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد

الباحث الاول : م.م أحمد كاظم عبد الله
وزارة التربية / مديرية تربية ذي قار
الباحث الثاني : م.م إيمان سعدون نجم
جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الصرفة

الملخص

الأدب العربي قديما وحديثا قد حفل بظاهرة بلاغية غاية نشأتها نفسية وجمالية بقصد التأثير في المتلقي نفسيا من خلال الجمال الذي يضيفه هذا الأسلوب الذي يُعرف بالطباق، أو ما يسمى بالتضاد، أو المقابلة، أو التناقض ومن المعروف بأن هذه الظاهرة الأسلوبية لم تكن حديثة العهد، و تراثنا العربي لم يغفل عن هذه الظاهرة وقد درسوها بشكل مفصل، و كذلك النقادُ المحدثون قد تناولوها بشكل واسع كونها تمثل محسن من محسنات علم البديع الذي يُعد من علوم البلاغة العربية، و ما يضيفه هذا العلم من جمال للصورة الأدبية؛ لذلك ركز الباحث في هذا البحث على الجمال الذي إضافة الطباق إلى قصيدة الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد (سفر التكوين)، إذ تناول الشاعر رحمه الله الطباق في قصيدته بشكل يتناسب مع القصيدة.

الكلمات المفتاحية: الطباق، عبد الرزاق عبد الواحد، جماليات الصورة

Summary

Arabic literature has celebrated a rhetorical phenomenon to the end of its psychological and aesthetic development in order to influence the psychological recipient through the beauty added by this method known as the dish or so-called conflicts, counterparts or contradictions, and it is known that this stereotypical phenomenon was not recent, Our Arab heritage has not lost sight of this phenomenon and they have studied it in detailed forms And the recent critics have taken it up extensively because it represents an enhancer of the brilliant science of Arabic rhetoric. This science adds beauty to the literary image; The researcher therefore focused on the beauty that added the dishes to the poet Abdul Razak Abdul Wahid's poem (The Book of Genesis), where the poet had God's mercy on the dishes in his poem in proportion to the poem.

Keywords: Dish, Abdul Razak Abdul Wahid, photo aesthetics

المقدمة

مازالت البلاغة في اللغة العربية تمثل عمود الخيمة، و مستودع الثروات من الأساليب، فمن الواجب على من يهتم بالبحث البلاغي تقدير أهمية تلك الثروات المتعدد من الأساليب البلاغية ؛ لأن هذه الأساليب تلعب دوراً هاماً في إخراج الصورة الفنية التي ينشدها الأديب إلى المتلقي بأجمل شكل، و بالطبع تلك الصورة الفنية هي مرآة مشاعره وأحاسيسه، و لكي تكون تلك المشاعر والأحاسيس واضحة للمتلقي كان لزوماً على الأديب أنَّ يجعل تلك الأساليب البلاغية جسر لنقل فكره وما يشعر به من أحاسيس إلى المتلقي، و شاعراً مثل الشاعر(عبد الرزاق عبد الواحد) يمتلك مكانة مرموقة بين الشعراء وله معرفة ليست بقليلة في علوم اللغة ؛ لأنه عَلَمَ اللغة العربية والمعلم يدرك ما تحمله اللغة من جماليات فلا شك أن يعمد هذا الشاعر إلى توظيف تلك الأساليب البلاغية في قصيدته لما لها من اثر يجعل النص في مصاف النصوص الأدبية عالية الجودة فكان (الطباق) كونه واحد من المحسنات البديعية المعنوية حاضراً في قصيدته (سفر التكوين) بشكل واضح وبشكل معتدل لم يسعى شاعرنا إلى الإكثار من الطباق؛ لأن الإكثار من الطباق يُفقده قيمته الفنية، و هنا تكمن مشكلة البحث التي يدور محورها حول ما تمتلكه المحسنات البديعية شأنها شأن باقي الأساليب البلاغية من بيان ومعاني من إمكانية رفع جودة النص الأدبي وجعله مؤثر في المتلقي ومستهوى له.

كما تهدف الدراسة إلى الوقوف على اهم المواطن التي تعمد الشاعر أنْ يجعل الطباق فيها حاضراً دون غيرها والسبب في ذلك التضمين وهل الطباق حقق ما سعى إليه الشاعر من إيصال الفكرة للمتلقي.

أما سؤال البحث فأنّه قائم على هل لاختلاف المعنى وتضاده بين الكلمات أثر في نفس المتلقي وما هو ذلك الأثر هل هو إيجابي أم سلبي.

مفهوم الطباق:

من المؤكد أنَّ للطباق مفهوم يخصه ويميزه عن باقي الأساليب الأخرى؛ لذلك لا بد أنْ نتطرق لمفهوم الطباق لغةً واصطلاحاً،

وقد جاء في كتاب" البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها الطباق في اللغة : وضعُ طَبَقٍ عَلَى طَبَقٍ، كوضع غِطَاء الْقِدْر مُنكَفئاً على فَمِ الْقِدْر حتَّى يُغَطِّيَه بإحكام، ومنه إطباق بطن الكفِّ عَلَى بَطْنِ الكف الآخر، تقول: طَابق الشيءَ على الشيءِ مُطَابقةً وطباقاً، أي أطبقه عليه، وهذا الإطباق يقتضي في الغالب التعاكس، فـ بَطْنُ الغطاء على بَطْنِ القدر يقتضي أن يكون ظهر الغطاء إلى الأعلى وظَهْرُ الْقِدْر إلى الأسفل". (الميداني، ١٩٩٦: ٣٧٧)

والطباق في الاصطلاح هو "الْجَمْعُ في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين، على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز، ولو إيهاماً، ولا يشترط كون الدالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين فالشرط التقابل في المعنيين اللفظين تنشيط فقط، والتقابل بين المعاني له وجوه، منها ما يلي: (١) تقابل التناقض : كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب

(٢) تقابل التضاد : كالأسود والأبيض، والقيام والقعود.

(٣) تقابل التضايف كالأب والابن والأكبر والأصغر، والخال والمخلوق"(الميداني،١٩٩٦: ٣٨٧).

ومن التعريفات الاصطلاحية ما ذكره الدكتور السلطاني في كتابة المختار من علوم البلاغة، و العروض فقال: "هو الجمع بين معنيين متضادين، و ذلك لإثارة القارئ، و يقاظ نفسه، وتعميق الشعور بالمعنى عنده، بطريق إبراز المفارقة بشكل أكثر جلاء من خلال المجاورة بين الضدين" (سلطان، ٢٠٠٨: ١٥٠).

ومما تقدم يتضح لنا بأن الطباق له وضيفة جمالية من خلال الجمع بين الضدين فكل ضد مهما يعمل على إبراز محاسن ضده للقارئ وهذا ما يجعل القارئ يشعر بجمال الصور التي يحملها النص الأدبي، فقد عبر الشعراء في شعرهم عن محاسن الجمع بين الضدين، وهذا الشاعر يذكر

"فالوَجهُ مِثل الصُبح مُنبلِجٌ والشَعر مِثلَ الليلِ مُسوَّدُ"

"ضِدّان لَما استَجمعا حَسُنا والضدّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدُّ"

وقد اختلف النقاد في نسبه ولسنا هنا في صدد من قال هذين البيتين أكثر ما نعني إلى حملهم للمعنى الذي نذكره

المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للطباق

قد يتصور بعضهم أنَّ الطباق في المعنى اللغوي يختلف عن المعنى الاصطلاحي؛ وذلك ليس ببعيد وهذا التصور بصراحة ناتجي عن كون المعنى اللغوي للطباق يعني الموافقة والمساوات فكما جاء في لسان العرب لابن منظور" طابَقَهُ مطابَقةً وطباقاً. وتَطابَقَ الشيئَان: تساوَيا. والمُطابَقةُ: المُوافَقة. والتَّطابُق: الاتِّفَاقُ. وطابَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذا جَعَلْتَهُمَا عَلَى حَذْوِ وَاحد وأَلزقتهما. وَهَذَا الشَّيْءُ وَفْقُ هَذَا ووفاقُه وطِباقُه وَطابَقُهُ وطَبْقُه وطَبِيقُه ومُطْبَقُه وقالَبُه وقالِبُه بِمَعْنًى وَاحد. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: وافَقَ شَنٌّ طَبَقَه. وَطابَقَ بَيْنَ قَمِيصَيْنِ. لَبِسَ أَحدهما عَلى الآخر. والسمواتُ الطِّباقُ : سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لمُطابَقة بَعْضِهَا بَعْضًا أَي بَعْضها فَوْقَ بَعْض، وَقِيلَ: لأَن بَعْضَهَا مُطْبَق عَلَى بَعْض، وَقِيلَ: الطِّباقُ مَصْدَرُ طَوبقَتْ طِباقاً. وَفِي التَّنْزِيلِ. أَلَمْ تَرَوْا كَيفَ خَلَقَ اللهُ سَبعَ سَماواتٍ طِباقاً" (منظور،١٩٩٤: ٣٦٧)

بينما التعريف الاصطلاحي يعني الجمع بين الضدين وكما جاء في شرح الكافية البديعية " المطابقة هي الإتيان بلفظتين متضادتين فكأن المتكلم طابق الضد بالضد" (الحلي، ١٩٨٢: ٧٢) وقد انقسم النقاد إلى فريقين منهم من أيد ذلك الاختلاف معتمدا على الظاهر من التعريفين وهناك فريق آخر لم يقر بذلك الاختلاف وعد التعريفين منسجمين؛ وذلك ما أشار إليه صاحب كتاب غلم البديع حيث قال:" يرى بعض البلاغيين أنّه لا مناسبة بين المعنيين ويرى اخرون وهو الأرجح أنّه هناك مناسبة بينهم ومردها إلى امرين.

أولهما: إن الذي يجمع بين الضدين في كلام منثور، أو في بيت شعري، فهو يوافق بين الضدين في كلامه.

وثانيهما: إن الطبق بالتحريك معناه المشقة قال تعالى "لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ " (انشقاق:١٩)، أي مشقة بعد مشقة فكلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة، و في الواقع شاقًا سمو كل كلام جمع بيه ضدين طباقًا" (بسيوني،٢٠١٥: ١٣٩).

ومما تقد يتضح لنا أنَّ الطباق لا يختلف في التعريفين من ناحية المعنى؛ لأنه في كلا التعريفين يعني الجمع بعندما يشير المعنى اللغوي إلى المساوات بين لفظتين وجمعهما بعبارة واحدة ذلك يعني الجمع وكذلك المعنى الاصطلاحي يشير إلى الجمع، لكن بين الفظتين لكل واحدة منهما معنى يميزه عن الأخرى، لكن في نهاية المطاف هو كذلك جمع بين الضدين؛ لذلك نرى لا خلاف بين التعريفين، و إن كان بعض الدارسين يعتقد ذلك.

ولا ننسى- بأن الاختلاف لا بد أنَّ يكون في جوهر التعريف، لكن هنا جوهر التعريف لا يختلف، فجوهره الجمع سواء كان ذلك الجمع بين المتضادات أم بين المتشابهات فالمفهوم هو الجمع، و بالعكس الجمع بين الألفاظ المتضادة يعطي الكلام رونقًا وجمال، فاللغة العربية من صفاتها، أو مما تتميز به هذه اللغة بانها تظهر جمال اللفظ بجمعه بضده، فيشعر القارئ بجمال اللفظ عند تقاربه بالضد؛ وذلك ما سوف نشير إليه، و كيف يعطي الطباق جمال للصورة الأدبية.

أثر الطباق في جمال الصورة:

صنفت العربية الطباق كجزء من أجزاء علم البيان الذي يحتوي على عدة أجزاء تسمى المحسنات منها المحسنات اللفظية مثل الجناس، و السجع .. وغيرها والمحسنات المعنوية مثل الطباق، و المقابلة والتورية ... وغيرهم، و كما هو واضح من تسمية أجزاء علم البديع بالمحسنات، فاللغة العربية

تسعى من خلال تلك المحسنات إلى تحسين وتزيين الكلام؛ وذلك التحسين الهدف منه أن يصل الكلام إلى المتلقي بشكل سلس وحسن يحقق غايته المنشودة، و، كما ذكرنا بأن التحسين في اللغة العربية يأتي بعدة طرق، و احد تلك الطرق هو (الطباق) الذي عرفه البلاغيون بأنه الجمع بين لفظتين متضادتين بالمعنى، و من ذلك التضاد يؤدي الجمع غايته التي يسعى إليها ألا وهي تحسين المعنى، و تحسين المعنى واثره في جمال الصورة الأدبية يأتي عن طريق جذب انتباه المتلقي، و إثارة ذهنه عن طريق التضاد الذي بدوره يجعل الصورة الأدبية أكثر جاذبية وروقنًا.

وجمال الصورة الأدبية من أكثر الأمور التي يسعى إليها الأدباء وتشغل بالهم في كل أصناف الأديب سواء كان ذلك الأدب ثرًا أم شعرًا ن حيث يُعد الأديب أكثر تمكنًا، و اعذب كلمات كلما كان اثره الأدبي اكثرا جاذبية للمتلقي واعمق أثر في نفسه .

" يخيل إلينا أنَّ جماليات هذا المحسن البديعي راجعة في بعض النواحي إلى أنّه جمع بين الأضداد، و يلم شتات المتنافرات في موضع واحدن فيحدث في الذهن ضربًا من الانتقال السريع بين الضد والضد، و الشيء و مقابله، و حين يتحقق لإدراك هذه الإحاطة بالمتباعدات في الواقع على هذا النحو السريع، و على هذه الصورة التي يتجاور فيها الماء، و النار، و الأبيض، و الأسود يأنس شيئًا من البهجة، و الرضا، و يبدو أنَّ المتباعدات في المعنى اقدر من غيرها على تنشيط الفعالية الإدراكية" **(العاكوب، ٢٠٠٠: ٥٦١)**

صور الطباق في قصيدة سفر التكوين

من المعروف أنَّ الطباق هو أنواع والنوعين الأكثر حضورًا عما طباق الإيجاب، و طباق السلب وهذان النوعان يتميزان بأن طباق الإيجاب قائم على الجمع بين الضدين بدون دخول النفي بينهما بينما طباق السلب هو قائم على الجمع بين المتضادات مع حضور أسلوب النفي بينهما وهنا نلتفت بأن الشاعر(عبد الرزاق عبد الواحد) لم يستخدم طباق السلب في قصيدته الموسومة(سفر التكوين)، بل ركز على طباق الإيجاب، و هذا أنَّ دل على شيء يدل على ادراك الشاعر بأن طباق الإيجاب هو اقرب لفكرته التي يريد أنَّ يوصلها للقارئ حيث نجده في قصيدة التي يقول فيها،

عندَما كُوِّرَتْ

عندَما كلُّ آياتِها صُوِّرَتْ

قيلَ للشمسِ أن تَستَقيمَ على مَوضعٍ لا تَغيبْ

وَلِلنَّجمِ كُنْ أنتَ منها قريبْ

ثمَّ خُطَّ على الأرضِ مُنعَطَفانْ

تَبَجّسَ بينهُما الماءُ،

وانحَسَرَتْ آيَتانْ

بمُعجِزَةِ تَجريانْ

فالتَقى الفجرُ باللَّيلِ

والنارُ بالسّيلِ

كلٌّ بأمرٍ يُساقْ

وأتى الصّوتُ :

كُوني ..

فكانَ العراقْ !

فَجْرٌ كلِّ الحَياة
مَهدُ كلِّ النَّبوّات
مِن عَهدِ آدَمْ
والحَضاراتِ مِن عَهدِ أورْ
بَدْءَ كلِّ العصورْ
مُنذُ ميلادِ سومَرْ
والشموسٌ جَميعاً عليها تَدورْ

أشرَقَتْ شمسُ بابلْ
ثمَّ ضاءَتْ أكَدْ
ثمَّ آشور،
ألقَتْ إليها الدُّهورْ
بِمَقاليدِها ..
ثمَّ أغفى القَدَرْ
واستفاقْ
كانَ نَجمُ العراقْ
ساطعاً في الحَضَرْ .. !

وأقبَلَتْ بغدادْ
حاملةً شموعَ ألفِ ليلةٍ ولَيلَه
وصوتَ شهرزادْ
وأجملَ الأحلامِ عن أشرِعَةِ السِّند بادْ ..

وكانَ الرّشيدْ
وكانَ لها ألفُ فجرٍ جَديدْ
ثمَّ أخنى عليها ظلامٌ مَديدْ
إلى أنْ تَلألأ في لَيلِها
سَنا كوكبٍ جاءَها يومَ عيدْ ..

مَن يَعرفُ العراقْ ؟
يَعرفُ كيفَ تَلتَقي السّهولُ والجبالْ
الضَّوءُ والظِّلالْ
الواقعُ والخَيالْ
والمُمكِنُ والمُحالْ .. ؟

مَن يَعرفُ العراقْ ؟
مَرْفأُ فُلْكِ نُوح
في طوفانِهِ العظيمْ
وَبَيتُ إبراهيمْ
أسرَجَ فيهِ نُورَهْ
وَمُرتَقى شامشْ
وصَوتُ كلكامشْ
في مَدارِجِ الزِّقُورَهْ ..
والرَّقْمَ المُغَلَّقَهْ
والماءُ يَجري صاعداً بِقُدرَةِ المَجهولِ للجَنائنِ المُعَلَّقَهْ !

مَن يَعرفُ العراقْ ؟
مَن الذي يَعرفُ أيّ قَدَرٍ يُقيمْ
في هذهِ الأرضِ التي شاءَ لها القَدَرْ
أنْ تَلتَقي في جَوفِها الجَنَّةُ والجحيمْ ؟!

هاهوَ ذا ..
ما ضاقَ يَوماً حَولَهُ الخناقْ
إلا رأيتَ مارداً مِن نَومِهِ استَفاقْ
فضَجَّ حتى تَستغيثَ السَّبعَةَ الطِّباقْ
مِن هَولِ ما دماؤهُ تُراقْ !

هذا هو العراقْ

بالأمس يَومَ نَكَّسَتْ رؤوسَها الرِّجالْ

وَكادَ أنْ يَبكي على هاماتِها العِقالْ

كانَ العراقُ هامُهُ كَقِمَمِ الجبالْ ..

دارَتْ رَحى القتالْ

وَذُبِّحَ الرّضَّعُ والشُّيوخُ والأطفالْ

وَبَقيَتْ هاماتُهُ شُمّاً .. وما تَزالْ .. !

هوَ العراقُ..سَليلُ المَجدِ والحَسَبِ

هوَ الذي كلُّ مَن فيهِ حَفيدُ نَبي !

كأنَّما كبرياءُ الأرضِ أجمَعِها

تُنْمَى إليهِ، فَما فيها سِواهُ أبي !

هوَ العراقُ، فَقُلْ لِلدائراتِ قِفي

شاخَ الزَّمانُ جَميعاً والعراقُ صَبي !"

لو تأملنا القصيدة نجد أنَّ الشاعر أضاف لها شيئًا من الجمل بجمعه المتضادات ذلك؛ لأنه يُريد إيصال ما يشعر به بأن عراقه عبارة عن لوحة جمعت جميع الألوان على اختلاف الوانها وتباعد أشكالها فالعراق بنظر الشاعر (عبد الرزاق عبد الواحد) كالفسيفساء التي تجمعت فيها الألوان المختلفة، و الأشكال المتنوعة التي لا تشبه بعضها ورغم ذلك الاختلاف فهي شكلت لوحة فنية تسر الناظرين بجمالها الخلاب، فالعراق ينماز بكونه جامع لتلك الاختلافات التي كانت هي سر جماله وسر هيبته فجمع الشاعر الأضداد بقوله:

"فالتَقى الفجرُ باللَّيلِ

والنارُ بالسّيل"

وكذلك جمع بين "

يَعرفُ كيفَ تَلتَقي السّهولُ والجبالْ

الضَّوءُ والظِّلالْ

الواقعُ والخَيالْ

و المُمكِنُ والمُحالْ .. ؟

، ثم يقول

أنْ تَلتَقي في جَوفِها الجَنَّةُ والجحيمْ ؟!

، ثم يقول في نهايتها

شاخَ الزَّمانُ جَميعاً والعراقُ صَبي !"

ها نحن نجد الشاعر قدر جمع المتضادات التي شكلت وحدة العراق هذه المتضادات لمن تكن في يوم من الأيام سببٍ في فرقة العراقيين، بل كانت هي الحل كانت هذه المتضادات أساس الجمال العراقي، و كأننا نشعر بأن الشاعر يريد أنَّ يقول للقارئ أنتَ أمام وطن تجمعه المتضادات وتسبب وحدته التي لا تقهر والتي لا تنتهي مهما كانت الظروف التي تمر به، أو مهما كانت الرياح العاتية التي تهب عليه، فهو بتلك المتضادات يقف شامخًا لا تهزه الريح، و هنا يكمن ادراك الشاعر عندما تجنب طباق السلب وركز على طباق الإيجاب؛ لأنه يعرف بأن وطنه العراق لم ولن يُبنى على المتضادات بالنفي؛ لأن النفي، كما هو معروف باللغة العربية هو قائم على إنكار فكرة، فهو ضد الإثبات؛ لذلك تجنبه الشاعر ولم يتطرق إليه وركز على طباق الإيجاب.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الشاعر ذكرة عبارة (**هوَ الذي كلُّ مَن فيه حَفيدُ نَبي**) وهنا إشارة إلى الجمع بين كل المتضادات في المعنى، فأهل الجبال واهل السهول واهل الهور والأنهار الكلَ متساوي في النسب وهذا ما أراد الشاعر أنَّ يوصله إلى المتلقي فالعراق بعين عبد الرزاق عبد الواحد لا يتجزأ وان ضم الأضداد تحت جناحه ، لكن ذلك التضاد جعله العقاب الذي يحلق في أعالي السماء بجناحين يكون فيها الخوافي وان اختلفت عن القوادم لكنها تسندها وتكون عوننًا لها هكذا هو العراق بيعين شاعرنا.

تنائج البحث

١- الطباق يمثل التقنية التي تعمل على إبراز الجمال والتناغم اللغوي ، كما أنّه يسهم في إثراء النص وتعميق معناه فالمعنى في النص الأدبي قد يتمِ من خلال النظير فالكلمة لا يظهر جمال معناها إلاّ بالنظير ، كما قال الشاعر: ضدّان لَما استَجمعا حَسُنا والضدّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضدُّ

٢- الطباق عند عبد الرزاق عبدَ الواحد ليس مجرد معان متضادة فحسب ، بل َ يعبر عن العلاقات التي تحكم الطبية

٣- ، كما أنَّ الشاعر استخدم في قصيدته (سفر التكوين) طباق الإيجاب فقط حيث لم يستخدم طباق السلب بالمرة وكما هو معروف في طباق الإيجاب تكون الكلمات معاكسة لبعضها أما السلب تكون منافية فشاعرنا لم يقصد في طباقه نفي الضد ، بل قصد الجمع بين الضدين لتظهر صورته الشعرية بابها صورة .

المصادر

١ ابن منظور. معجم لسان العرب. ١٩٩٤.

صفي الدين الحلي. شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع. المحرر نسيب نشاوي. دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٨٢.

عبد الرحمن حسين الميداني. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. المجلد ط١. بيروت: دار الشامية، ١٩٩٦.

عبد الفتاح بسيوني . علم البديع. القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ٢٠١٥.

عيسى علي العاكوب. المفصل في علوم البلاغة العربية. حلب: مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ، ٢٠٠٠.

محمد علي سلطان. المختار من علوم البلاغة والعروض. دمشق: دار العصماء، ٢٠٠٨.